حقوق المسلم على أخيه المسلم

الشيخ أحمد الجوهري عبد الجواد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الناس من وقت بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيام الساعة هم أمة الإسلام.

وهم ثلاثة أقسام:

- **أمة الدعوة.**

وهم الناس جميعًا، من المؤمنين، وأهل الكتاب، وغيرهم.

ويمكن أن نسمي هذا **المعنى الإنساني.**

- **أمة الإجابة.**

وهم المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول صلى الله عليه وسلم.

ويمكن أن نسمي هذا **المعنى الإيماني.**

- **أمة دار الإسلام.**

وهم أهل الإيمان والأمان الذين يعيشون في أرض يحكمها دين الإسلام ويبسط عليها سلطانه.

ويمكن أن نسمي هذا **المعنى السياسي.**

وكل قسم من هذه الأقسام له حقوق، أعظمها حقوق أمة الإجابة فيما بينهم مما عرف واشتهر بحق المسلم على المسلم، لورود ذلك في الحديث النبوي الشريف.

وفيما يلي أكتب عن هذه الحقوق واحدًا بعد الآخر بإيجاز، لتكون تذكرة لمن يعلم وتعليمًا لغيره.

من حقوق المسلم على المسلم

١) أن يسلم عليه إذا لقيه.

٢) أن يشمته إذا عطس وحمد الله، بأن يقول له إذا حمد الله تعالى: يرحمك الله.

٣) أن يعوده إذا مرض ويدعو له بالشفاء.

٤) أن يشهد جنازته إذا مات.

٥) أن يبر قسمه إذا أقسم عليه وكان لا محذور فيه.

٦) أن يجيب دعوته إذا دعاه.

٧) أن ينصره ولا يخذله في أي موطن احتاج فيه إلى نصره وتأييده إن كان محقًّا.

٨) أن ينصحه إذا استنصحه في أمر من الأمور.

٩) أن يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه.

١٠) ألا يمسه بسوء أو يناله بمكروه.

١١) أن يتواضع له ولا يتكبر عليه.

١٢) أن يتعاون معه على عمل الخير أو دفع الشر الذي لا يقوم بغير معونته.

١٣) أن يصله ولا يهجره أكثر من ثلاثة أيام بغير حق.

أعاننا الله وإياكم على العمل بها وبثها في المسلمين وتعليمهم إياها، ولعل الله تعالى ييسرني للكتابة فيها كتابة موجزة، مع التركيز على ما لا يشيع الحديث عنها.

رب يسر وأعن يا كريم.

(١) أن يسلم عليه إذا لقيه

وصيغة السلام مشهورة - مختصرة ومتوسطة ومطولة -، والسلام كما يدل عليه لفظه سلام وأمن وأمان، ولهذا كان أثره نشر المحبة والألفة والمودة.

وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **".. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".**

وإذا كان إفشاء السلام من طرق ربط القلوب المؤمنة ببعضها وهذا - لا ريب - مقصود عظيم من مقاصد الدين المحكمة المركزية وهو الاعتصام والاجتماع والوحدة ونبذ التشرذم والاختلاف والفرقة فإن ذلك يدلنا على أهمية إفشاء السلام فإن أهمية الوسيلة من أهمية الغاية.

فلا غرو رأينا الشرع يعتني بهذه الشعيرة الكريمة **"إفشاء السلام"** من جهات متنوعة عديدة:

- جهة الأمر بها.
- وجهة الوعد بالثواب عليها.
- وجهة بيان الأثر المترتب عليها.
- وجهة بناء أحكامها.

وفيما يلي حديث مختصر عن كل جهة من هذه الجهات المهمة.

- **جهة الأمر بها:**

التسليم أدب من آداب الإسلام الثابتة التي جاء الأمر بها في القرآن والسنة: **{يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون}**، **{وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها}**.

وفي الحديث: عن أنس قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يا بنيّ، إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك"، "أفشوا السلام بينكم".**

وغير هذا من الأدلة على الأمر بالسلام وهي كثير.

وهو شريعة قديمة من آدم عليه السلام، وفي الحديث أنه أمر بإلقاء السلام على الملائكة فردوا عليه السلام.

- **جهة الوعد بالثواب عليها:**

وقد وعد الإسلام بالثواب الجزيل والأجر الكبير والفضل العظيم على السلام، وفي القرآن الكريم: **{فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة}**، وفي الحديث: **"أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام"، "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"**، ومن فضائل السلام أنه تحية الملائكة وتحية أهل الجنة من ربهم وفيما بينهم.

- **جهة بيان الأثر المترتب عليها:**

وقد مرت معنا الآية الكريمة: **{فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة}**، وحديث: **"إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك"**، وحديث: **"أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".**

فإفشاء السلام يحل به الخير والبركة في البيت وتشيع بسببه المحبة بين الناس.

وهو كذلك ينشر الأمن والأمان والنجاة والسلامة والتذكير برقابة الله تعالى ورعايته وكلاءته وحفظه وتسديده، وهذا كله يستفاد من معنى **"السلام عليكم"** وفيه زيادة على ذلك الدعاء بالسلام وبالرحمة والبركة إذا قالها المسلّم.

وبه تحصل السلامة من المكاره في العاجل والآجل، وفي الحديث: **"أفشوا السلام تسلموا"**.

وإلقاء الرجل تحية الإسلام دليل على أنه مسلم له حرمة الدم والعرض والمال إلى أن يثبت العكس: **{ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمنًا}**.

- **جهة بناء أحكامها:**

فقد بين الشرع من أحكام السلام: **أن يسلم المسلم على من يعرف وعلى من لا يعرف**، وأن الصغير يسلم على الكبير، وأن الراكب يسلم على الماشي، وأن الماشي يسلم على القاعد، وأن القليل يسلم على الكثير، وهذا كله على سبيل الأولوية فلا مانع من عكسه، وحث على الجهر بإلقائه والجهر بجوابه، وعدم تخصيص أحد من الجالسين به، وتعليم الصبيان التسليم والتسليم عليهم عند لقائهم، وأن يسلم على الغائب عن طريق إرسال السلام إليه مع غيره.

ووصل في بيانه أن يطالب من يدخل البيت أن يسلم كان فيه إنسان أو لم يكن وإذا كان فيه نيام طالبه بأن يخفض صوته بالتسليم.

وشرع التسليم عند المفارقة كما شرعه عند اللقاء.

وبيّن أحكام ذلك - وغيره - من لفظ أو إشارة على المسلم العاصي والطائع الذكر والأنثى وعلى غير المسلم، بوجوب واستحباب أو حرمة وكراهة.

(٢) أن يشمِّته إذا عطس وحمد الله، بأن يقول له: يرحمك الله

وهذه المداولة الطيبة التي يشترك فيها القلب الطيب والقول الطيب والسلوك الطيب ماذا ينتظر من ورائها؟ يعطس المسلم فيقول: **الحمد لله أو الحمد لله على كل حال**، ويسمعه أخوه فيقول له: **يرحمك الله**، ويجيبه العاطس: **يهديكم الله ويصلح بالكم، أو يغفر الله لنا ولكم.**

دعوات طيبات وتمنيات صالحات تنتج التحاب والتماسك وتنشئ التواد والتراحم.

هذه اللحظة العارضة العابرة يهتم بها الإسلام ويشرع لها الآداب والأحكام، بل ويثور حولها مسائل هي من العجب العجاب، ومن هذه المسائل: محبة الله تعالى للعطاس، ففي الحديث: **"إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله".**

وبيّن الشرع الكريم أحكام العطاس التي نقبس منها هذه المسائل:

- من عطس فلم يقل: الحمد لله، هل نقول له: يرحمك الله؟ لا نقول له: **"يرحمك الله"** فليس حقًّا له على من سمعه أن يشمته، ففي الحديث: **"إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه"**، **"عطس عند النبي ﷺ رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال الذي لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست أنا فلم تشمتني. قال: إن هذا حمد الله، و إنك لم تحمد الله".**

لكن يمكن أن نعلمه أن يقول ذلك فإذا قاله شمتناه.

عطس رجل عند الإمام ابن المبارك، فقال له ابن المبارك: أيش يقول الرجل إذا عطس؟ فأجاب الرجل: يقول **"الحمد لله"**، فقال له ابن المبارك: **يرحمك الله.**

- **الاقتصار على الحمد فقط دون زيادات:** عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رجلًا عطس إلى جنبه، فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله، فقال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس هكذا علَّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، علمنا أن نقول: **"الحمد لله على كل حال"**.
- أن يضع يده أو ثوبه على فمه ويخفض صوته، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان إذا عطس غطَّى وجهه بيدِه أو بثوبه، وغَضَّ بها صوته.**
- **إذا تكرر العُطاس من إنسان متتابعًا، فالسُّنة أن يشمِّته لكل مرة، إلى أن يبلغ ثلاث مرات:** عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعطس عنده رجلٌ، فقال له: **"يرحمك الله"**، ثم عطس أخرى، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الرجل مزكومٌ"**.

وفي رواية عند أبي داود والترمذي: فقالا: قال سلمة: عطس رجل عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنا شاهدٌ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يرحمك الله"**، ثم عطس الثانية أو الثالثة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يرحمك الله، هذا رجلٌ مزكومٌ"**.

(٣) أن يعوده إذا مرض ويدعو له بالشفاء

زيارة المريض لون من ألوان المحبة بين قلوب المؤمنين، والتواصل بين نفوسهم وأبدانهم، فهي دلالة على قوة العلاقة بينهم.

وقد جعلها الإسلام حقًّا للمسلم على المسلم، وفي الحديث الأمر بها: **"أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني"**، **"عودوا المريض، و اتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة"**، وفي حديث

البراء: "**أمرَنا باتباع الجنائزوعيادة المريض..**"، ونص على أنها حق في أحاديث، منها: "**ثلاثة كلهم حق على المسلم: عيادة المريض..**"، "**حق المسلم على المسلم ست:.. وإذا مرض فعُدْه**".

ووضع لها الشرع فضائل وشرع لها آدابًا.

فمن فضائلها:

- أن القائم بها يشيعه سبعون ألف ملك كلهم يستغفر له ويصلي عليه وكان له خريف في الجنة.
- ويخوض في الرحمة ويستقر فيها وتغمره.
- ويقول الله تعالى له: "**طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلًا في الجنة**".
- وإذا اجتمعت هي وإطعام مسكين واتباع جنازة في يوم إلا كان فاعلها من أهل الجنة.
- ولم يزل في خُرفة الجنة وجناها حتى يرجع.
- وكان ضامنًا على الله إن مات في وجهه أن يدخله الجنة.
- وضاعف الله له أجره عشر مرات.
- وكان من القرب من ربه تبارك وتعالى بالمحل العظيم.

ومن آدابها:

- أن يقول عنده خيرًا، فإن الملائكة تؤمن على دعائه.
- أن يبشره بما يعلم من حسن حاله وفضائل مرضه ونحو ذلك.
- أن يرقيه ويعوذه إذا أحب المريض منه ذلك: يمسح بيده اليمنى ويقول: "**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشفه و أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**"، أو يقول: "**باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس وعين حاسدة باسم الله أرقيك والله يشفيك**"، أو يبل أصبعه من ريقه ويلمس بأصبعه التراب ويقول: "**باسم الله،**

بتربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليشفى سقيمنا بإذن ربنا"، أو يجلس عند رأسه ويقول - سبع مرات -: **"أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك"**، أو يقول: **"اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوًّا أو يمشي لك إلى جنازة"**، **"لا بأس طهور إن شاء الله"**.

- ويرفع معنوياته بطيب الكلام ويوسع له في الأمل ويشير عليه بالصبر ويحذره من الجزع، يفعل ذلك برفق.
- وأن يظهر الرقة له.
- وأن يختار الوقت المناسب.
- وألا يطيل عنده إلا إذا أحب المريض ذلك.
- وأن يوصي بطبيب ماهر يعلمه إذا رآه احتاج لذلك.
- وأن يخلص في ذلك كله.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للقيام بهذا وأن يكتب لنا أجره.

(٤) أن يشهد جنازته إذا مات

إذا مات المسلم كان من حقوقه على أهل الإسلام هذه الأربعة: **تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه**، ولكل واحدة من هذه الأربعة أحكام وآداب وفضائل مفصلة في موضعها من كتب الفقه والحديث.

وأبرز هذه الأحكام - لإمكان اشتراك العدد الكبير غير المحصور في القيام بها -: الصلاة عليه واتباعه، وقد جاء بالترغيب في ذلك أحاديث كثيرة، منها: **"من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط"**، والاتباع خاصة

حق من حقوق المسلم على المسلم، ففي الحديث: **"حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، و اتباع الجنائز.."**.

وفي اتباع الجنازة أحكام وآداب، منها:

١) المشاركة في حملها إن أمكن.

٢) والسكينة عند السير بها واتباعها.

٣) ويتبعها الرجال دون النساء.

٤) والوقوف على القبر والدعاء والاستغفار له.

واتباع الجنازة الذي يكون به هذا الأجر كاملًا يقتضي فيما يظهر مرافقتها في كل المراحل من البيت أو من موضع حضورها إلى أن يتم الدفن والدعاء، ولهذا وردت الروايات: **"من شهد"**، **"من شيّع"**، **"من تبع"**، **"من خرج مع جنازة من بيتها ثم تبعها حتى تدفن"**.

كتب الله ذلك كله لنا إذا قمنا به في إخواننا، وكتبه لإخواننا فينا إذا قاموا فيه بحقنا.

(٥) أن يبَر قسمه إذا أقسم عليه وكان لا محذور فيه

من حق المسلم على أخيه إذا أقسم عليه أن يوافقه ويمضي قسمه.

وفي حديث البراء: **"أمرنا رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، و اتباع الجنازة، وتشميت العاطس، و إبرار القسم أو المقسم.."**.

وفي حديث أبي أمامة: **"ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله"**.

ولا ريب أن ذلك من تطييب خاطره واحترام شخصه وتقدير قوله.

وفي الحديث أن ابنة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلت إليه، ومع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة وسعد وأبيّ، أن ابني قد احتضر فاشهدنا، فأرسل يقرأ السلام ويقول: **إن لله ما أخذ وما أعطى وكل شيء عنده مسمى، فلتصبروتحتسب، فأرسلت إليه وتقسم عليه.**

قال: فقام وقمنا معه، فلما قعد رفع إليه فأقعده في حجره ونفس الصبي تقعقع، ففاضت عينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟

قال: **"هذه رحمة يضعها الله في قلوب من يشاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء".**

وبلغ من عمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه السنة الحسنة أن أبر قسم عمه العباس وأجابه إلى صورة ما أقسم عليه دون معناه حقيقة لتعذر المعنى الحقيقي، فقد كان رجل من المهاجرين يقال له: عبد الرحمن بن صفوان وكان له بلاء في الإسلام حسن وكان صديقًا للعباس، فلما كان فتح مكة جاء بأبيه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله بايعه على الهجرة، فأبى، وقال: **"إنها لا هجرة".**

فانطلق إلى العباس وهو في السقاية، فقال: يا أبا الفضل، أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي يبايعه على الهجرة فأبى.

قال: فقام العباس معه وما عليه رداء، فقال: يا رسول الله، قد عرفت ما بيني وبين فلان وأتاك بأبيه لتبايعه على الهجرة فأبيت.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إنها لا هجرة".**

فقال العباس: أقسمت عليك لتبايعنه، قال: فبسط رسول الله يده، فقال له: **"هات، أبررت قسم عمي، ولا هجرة".**

وبذلك عمل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أبي حازم أن ابن عمر مر على رجل ومعه غنيمات له، فقال: بكم تبيع غنمك هذه؟ بكذا وكذا؟ فحلف الرجل ألا يبيعها، فانطلق ابن عمر فقضى حاجته، فمر عليه، فقال: يا أبا عبد الرحمن، خذها بالذي أعطيتني، قال: حلفت على يمين فلم أكن لأعين الشيطان عليك وأن أحنثك".

ولو أن ذلك القسم على شيء يحصل بإبراره معصية أو ضرر، هل يبره؟

<u>الجواب: لا</u>، فإن في ذلك معصية أو اعتداء على المقسم عليه أو غيره، والمعصية غير جائزة والاعتداء غير جائز فلا يوافق عليهما، وفي الكتاب العزيز: **{ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}.**

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلًا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقص عليه رؤيا، فطلب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يعبرها، فأذن له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك: بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا**، قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت.

قال: **لا تقسم".**

وهذا الحديث دليل على أن إبرار القسم المأمور به في الأحاديث الصحيحة إنما هو إذا لم تكن في الإبرار مفسدة ولا مشقة ظاهرة، فإن كان لم يؤمر بالإبرار.

وجمهور العلماء على أن الأمر بإبرار القسم على السنية وهو سنة مؤكدة، ما لم يكن قسمه على فعل واجب فهذا يجب إبراره، أو فعل محرم فهذا يحرم إبراره: **"لا طاعة في معصية الله"**، وهكذا.

على أنه ينبغي ترك الإقسام خاصة في الأمور التي لا حاجة إليه فيها أو التي يعلم أنها تشق على الآخر، أو يتوقع ألا يبرها، أو توقعه في حرج وتخجله، ونحو ذلك، وفي الكتاب العزيز: {واحفظوا أيمانكم}، {ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم}.

وإذا لم يبر المقسم عليه قسم أخيه، على من يقع الإثم وتجب الكفارة؟

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه أهدت إليها امرأة تمرًا في طبق، فأكلت بعضًا وبقي بعض، فقالت: أقسمت عليك إلا أكلت بقيته، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أبريها، فإن الإثم على المحنث"**.

والمحنث هو المتسبب في الحنث فيكون الإثم عليه، ومن ثم تكون الكفارة عليه.

(٦) أن يجيب دعوته إذا دعاه

إذا دعا المسلم أخاه إلى مناسبة من مناسباته الخاصة أو إلى مناسبة من المناسبات العامة كان حقًّا عليه أن يجيب دعوته، وهي وسيلة لألفة القلوب وتلاقي الأبدان وفيها يتم تداول الرأي وتلاقح الأفكار وعموم الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم.

وفي الحديث الشريف التالي الأمر بإجابة الدعوة قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليأتها"**، وفي هذا الحديث النص على عصيانه إذا لم يفعل قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"ومَن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله"**، وفي هذا الحديث النص على أنه من حقوق الأخوة الإسلامية قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه.."**.

وإجابة الدعوة إذا كانت لعرس فهي فرض عين بشروط، هي:

- أن يدعى إليها الأغنياء والفقراء بلا فرق، وفي الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"بئس الطعام طعام الوليمة: يُدعى إليه الأغنياء، ويُترك المساكين"**.
- وأن يكون الداعي والمدعو مسلمين.
- وأن يدعوه في اليوم الأول، إذا أولم في أكثر من يوم، وأما في الثاني فمستحبة، وفي الثالث مكروهة، وفي الحديث: **"طعام أول يوم حق، وطعام يوم الثاني سنة، وطعام يوم الثالث سُمعة، ومن سمَّع سمَّع الله به"**.
- وأن يدعوه للتودّد والتقرّب، لا لخوف منه ولا لطمع فيه.
- وألا يكون الداعي ظالمًا أو شريرًا، أو صاحب مال حرام.
- ألا يكون فيها منكر، فإن كان المنكر يزول بحضوره، وجب حضوره، وإجابة الدعوة، وإزالة المنكر.

هذا في وليمة العرس خاصة، وما سواها يندب إجابتها.

ومن دعي إلى وليمة فحضر كان له أن يأكل منها أو يدع، وفي الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إذا دُعي أحدكم إلى طعام فلُيجب، فإن شاء طَعِم، وإن شاء ترك"**، فإذا لم يأكل دعا لهم بخير، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إذا دُعي أحدكم فليُجب، فإن كان صائمًا فليُصل، وإن كان مفطرًا فليطعم"**، ومثل الصائم: من لم يطعم.

نسأل الله تعالى أن يعم الخير بيوت المسلمين وتحصل الألفة بينهم ويجمع الله بين صفوفهم على عدوه وعدوهم.

(٧) أن ينصره ولا يخذله في أي موطن احتاج فيه إلى نصره وتأييده

من حق المسلم على أخيه المسلم أن ينصره في الوقت الذي يحتاج فيه إلى مناصرته، وقد جاء في القرآن والسنة الأمر به، قال تعالى: **{وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر}**، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: **تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره"**، وقال البراء - عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **"وأمرنا بسبع: بعيادة المريض، و اتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام، وإجابة الداعي، و إبرار المقسم، ونصر المظلوم"**.

إن المسلم مكلف ألا يظلم أخاه ومكلف كذلك ألا يُسلمه لمن يظلمه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"**.

وقد تكرر هذا المعنى بلفظ آخر في الحديث: **"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله.."**، **والخذل: ترك الإعانة والنصر**، ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه، ولم يكن له عذر شرعي.

وقد حكى أهل العلم الإجماع على هذا، قال ابن بطال: **"نصر المظلوم فرض واجب على المؤمنين على الكفاية، فمن قام به سقط عن الباقين، ويتعين فرض ذلك على السلطان، ثم على كل من له قدرة على نصرته، إذا لم يكن هناك من ينصره غيره، من سلطان وشبهه"**.

إن المسلم يهتم لأمر المسلمين يسره ما يسرهم ويؤلمه ما يؤلمهم، كما في الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا**

اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" فإن كان هذا شعوره فإن استجابة جوارحه لهذا الشعور بالعون والمناصرة والتأييد والمدافعة شيء طبيعي، وهذا الشيء الطبيعي واجب من الواجبات الشرعية.

ولهذا جاء الوعيد على عدم القيام به والوعد لمن قام به في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته"**.

وهذا غاية ربط أواصر الأخوة بين المسلمين فإنها آصرة مبنية على الحقائق والأعمال وليست مبنية على الدعاوى والأقوال.

وطرق نصرة المسلمين لإخوانهم المستضعفين متعددة متنوعة تختلف بحسب طاقات وقدرات أفراد المسلمين فتبدأ من عند نصرتهم بالنفس إلى نصرتهم بالكلمة مرورًا بنصرتهم بالمال، وفي الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"جاهدوا المشرِكين بأموالكم و أنفسكم وألسنتكم"**، نص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على القوى: العسكرية والاقتصادية والإعلامية بما تشتمل عليه كل واحدة منها من أنواع فردية أو جماعية بحسب مستويات الأمة الإسلامية.

نسأل الله تعالى أن ينصر بنا إخواننا، وأن يذل بنا عدوهم وعدونا.

(٨) أن ينصحه إذا استنصحه في أمر من الأمور

من حق المسلم على أخيه إذا طلب منه النصيحة في أمر نصح له وأخلص له في ذلك ولم يغشه، وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته**

فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له.."، وهذا يقتضي أن يجمع له كل ما يقدر عليه من الخير ويجنبه كل ما يقدر عليه من الشر في قوله، وما ذلك إلا لشدة ما بينهما من رباط عبر الشرع عنه بالبنيان يشد بعضه بعضًا.

وفي الحديث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "**المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه**"، وقال الحسن: "**المؤمن شعبة من المؤمن؛ إن به حاجتَه، إن به عِلّتَه، يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، وهو مرآة أخيه، إن رأى منه ما لا يعجبه؛ سدَّده وقوَّمه ووجَّهه**".

وقد بلغ من عناية الشرع بالنصيحة بين المسلمين أن جعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أركان البيعة التي كان يبايع عليها أصحابه، ففي الحديث عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بايعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السمع والطاعة **وأن أنصح لكل مسلم**، وكان إذا باع الشيء أو اشترى قال: أما إن الذي أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك، فاختر"، وجعلها الدين كله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة**"، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**"، **والنصيحة لعامة المؤمنين: إرشادهم إلى مصالحهم.**

وهذه النصيحة عامة في الأمور الدينية والدنيوية، وهي علامة خير كما تدل عليه آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالنصيحة منه، وفي الأثر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "**لا خير في قوم ليسوا بناصحين، ولا خير في قوم لا يحبون النصح، وخير الرفاق من تحابوا وتناصحوا**".

<u>والنصيحة للمسلم:</u>

- **من أسباب الفلاح**، قال تعالى: {**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**}.

- **من علامات حب الله للعبد**، قال الحسن البصري: أحبُّ العباد إلى الله الذين يُحبِّبون الله إلى عباده ويعملون في الأرض نُصحًا.
- **من أفضل الأعمال**، قال ابن عيينة: "عليك بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه".
- **علامة خوف العبد الله في إخوانه**، قال معمر: "كان يقال: أنصح الناس لك من خاف الله فيك".
- **وسيلة الوصول**، قال الفضيل: "ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، و إنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة".
- **وأساس في الإيمان**، قال حسان بن عطية: "خمس من كن فيه فقد جمع الله له الإيمان: النصيحة لله ورسوله..".
- **وفاعلها خير الإخوان**، قال أبو حاتم ابن حبان: "خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة، كما أن خير الأعمال أجملها عاقبة وأحسنها إخلاصًا، وضرب الناصح خير من تحية الشانئ، ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبذولة للعامة، مكتوم من العام والخاص ما قدر عليه، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له".

وينبغي أن يعين الأخ إخوانه على نصحه، عن عمر بن الخطاب قال: "رحم الله من أهدى إلينا عيوبنا"، وعن عمرو بن مهاجر قال: قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إذا رأيتني قد ملتُ عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزَّني ثم قل: يا عمر ما تصنع؟

وقال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟ فقال: وهل تعرف من يقبل؟

وينبغي كذلك أن يستنصح المؤمن العالم العاقل.

وينبغي أن يتقبل النصيحة من كل أحد وبكل صورة، ما دامت صحيحة في نفسها.

وينبغي أن يجيد الإصغاء والاستماع لناصحه وأن يشكره على نصحه، عمل بنصيحته بعد ذلك أم لم يعمل.

والنصح علامة الصدق في الصحبة، فلا يليق أن يصحب الأخ أخاه وهو لا يصدقه النصح، قال ابن حزم: **"ليس كل صديق ناصحًا لكن كل ناصح صديق فيما نصح فيه"**، وقال الفضيل: **"من رأى من أخ له منكرًا فضحك في وجهه فقد خانه"**.

ولنصيحة الأخ أخاه آداب تراعى، منها:

- أن يقصد بها وجه الله.
- وأن يتيقن صحتها وسلامتها.
- وأن يحرص هو على أن يكون من أهلها والعاملين بها.
- وأن يتحقق من موضعها.
- وأن يتخير المناسبة الصالحة لها.
- وأن ينصح له في السر.
- وأن يحفظ للمنصوح قدره.
- وأن ينتقي عبارته ويحسنها.
- وأن يسديها بحكمة ولطف ورفق وأدب وتواضع.
- وأن يتحلى بالصبر ويكررها إذا احتاج الأمر ويتحمل الأذى إن أتى من جرائها ولا يتعجل ثمرتها.

وأخيرًا إذا لم يقدر المرء على النصيحة المباشرة فلا يعد التعريض بها، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **"ما بال أقوام يقولون كذا وكذا"**.

فهي الجالبة لكل خير، الدافعة لكل شر، الرافعة لكل منزلة، وهي طريق النبيين والمرسلين والمصلحين والدعاة الوعاة الصالحين.

جعلنا الله وإياكم من الناصحين.

(٩) أن يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه

من حق المسلم على أخيه أن يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه:

يجتهد في توفير الخير له:

- تحقيق كفاية.
- وتوفير أمن.

ويسعى في دفع الشر عنه:

- صرف كروب.
- وذب سوء.

ولك أن تتصور سعادة مجتمع يكون على هذا النحو، فلا غرو أن يجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك من شعب الإيمان بالله تعالى فيقول: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحب لنفسه"**.

وفي هذا الحوار اللطيف يقرر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحق، فأصغ إليه أذن قلبك:

عن أبي أمامة قال: إن فتى شابًّا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا.

فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه! مه!

فقال: **ادنه.** فدنا منه قريبًا.

قال: فجلس.

قال: **أتحبه لأمك؟**

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.**

قال: أفتحبه لابنتك؟

قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك.

قال: **«ولا الناس يحبونه لبناتهم».**

قال: **أفتحبه لأختك؟**

قال: لا. والله جعلني الله فداءك.

قال: **ولا الناس يحبونه لأخواتهم.**

قال: **أفتحبه لعمتك؟**

قال: لا. والله جعلني الله فداءك.

قال: **ولا الناس يحبونه لعماتهم.**

قال: **أفتحبه لخالتك؟**

قال: لا. والله جعلني الله فداءك.

قال: **"ولا الناس يحبونه لخالاتهم".**

قال: فوضع يده عليه وقال: **اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصّن فرجه.**

قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

زاد في رواية أخرى: **"فاكره لهم ما تكره لنفسك، وأحب لهم ما تحب لنفسك"**.

وحب المسلم الخير لأخيه وكراهيته الشر له آثار عظيمة في دينه ونفسه ومجتمعه، منها:

- يزيد الإيمان.
- ويسلم القلب.
- يشيع المودة.
- ويوجد الإيثار.
- ويجنب الشماتة.
- وينفي الأنانية.
- ويبعد الحقد والحسد والغل.

وبالجملة: إن محبة المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه يحصل لهما كل خير وكراهيته له ما يكرهه لنفسه يبعد عنهما كل شر.

وتلك العلاقة الكريمة لها رتبتان:

١) **أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه**، وهذا هو العدل الواجب، وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير"**، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **"إني لأَمُرُّ على الآية مِن كتاب الله فأَوَدُّ أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم"**. وأن يحب لأخيه أكثر من نفسه، وهذا هو الإيثار، وهو مستحب في الأمور الدنيوية.

٢) **وليحرص المسلم على معاملة إخوانه بما يحب أن يعاملوه به**، وفي السنة بشارة عظيمة لمن فعل ذلك، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"**.

ولمحبة المسلم لأخيه المسلم علامات منها: النصح، وعدم الحقد، ونشر الخير، والدعاء، والسرور بما يسره، والتألم لما يضره، وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر"**.

ولا ريب أن هذا يتطلب متابعة أخباره والالتفات لشؤونه والعلم بأحواله والتفتيش عن أخباره والاهتمام بظروفه، وفي الطبراني بسند فيه ضعف: **"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم"**.

وفي الفتاوى لشيخ الإسلام: **"المؤمن يسره ما يسر المؤمنين ويسوءه ما يسوءهم، ومن لم يكن كذلك لم يكن منهم"**.

جعلنا الله و إياكم ممن يهتم بأمر المسلمين ويحب لهم ما يحب لنفسه ويسره ما يسرهم.

(١٠) ألا يمسه بسوء أو يناله بمكروه

ومن حق المسلم على أخيه ألا يمسه بسوء ولا يناله بمكروه، **وهذا يشمل القول والفعل.**

وفي الحديث: **"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"**، فيجب أن يكف المسلم لسانه عن أذى المسلمين: غيبة، نميمة، قذف، سب، لعن، شهادة زور، وغيرها، ويجب أن يكف جوارحه عنهم كذلك: قتل، زنا، سرقة، عقوق، هجر، ظلم، كبر، خيانة، غدر، وغيرها.

وهذه كلها كبائر محرمات، لا تليق بالمسلم: وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"**، ومن عجائب أحاديث الترهيب: **"إن قتال المسلم كفر وسبابه فسوق"**.

ومعلوم أن **مدار الشريعة على حفظ هذه الضرورات الخمسة: الدين والعقل والعرض والمال والنفس**، ويتعلق هذا الحق الذي نتحدث عنه بها جميعًا.

وفي كل أمر من هذه الأمور المذكورة تفاصيل كثيرة جدًّا محلها كتب شروح السنة وكتب الفقه والكتب الخاصة بالترغيب والترهيب والكلام عن الكبائر.

<u>ومن وقع عليه أذى من أخيه فهو بأحد ثلاثة أمور:</u>

١) أن يعفو عنه ويسامحه، قال تعالى: **{فمن عفا وأصلح فأجره على الله}**، وفي صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح"**.

٢) أن يسكت عنه دون مسامحة ويفوض أمره إلى الله تعالى لينتقم له منه.

٣) أن يرد عليه بمثل ما قال له أو فعل به مع مراعاة ضوابط كل قول وكل فعل: **{وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به}**، وفي الحديث: **"المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم"**.

نعم يستثنى المظلوم، له أن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء: {لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعًا عليمًا}.

(١١) أن يتواضع له ولا يتكبر عليه

من حق المسلم على أخيه أن يتواضع له وألا يتكبر عليه، وفي كتاب الله تعالى: {واخفض جناحك للمؤمنين}، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم..} وهذا أمر بالتواضع، وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد".

وقد مدح عباد الرحمن بقوله جل جلاله: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا..}، وقال في صفة الذين يحبهم ويحبونه {أذلة على المؤمنين} أي: أرقاء رحماء متواضعون، وجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاقبة التواضع الرفعة فقال: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما يرويه عن ربه جَلَّ جَلَالُهُ -: "من تواضع لي هكذا - وأشار بباطن يده إلى الأرض -.. رفعته هكذا، وأشار بها إلى السماء".

وقد بيّن يحيى بن كثير أمارات التواضع فقال: "رأس التواضع ثلاث؛ أن ترضى بالدون من شرف المجلس، وأن تبدأ من لقيته بالسلام، وأن تكره من المدحة والسمعة والرياء بالبر"، والفضيل: "يخضع للحقِّ، وينقاد له، ويقبله ممَّن قاله"، وابن المبارك: "أن تضع نفسك عند مَن هو دونك في نعمة الدُّنْيا حتى تُعْلِمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمَّن هو فوقك في نعمة الدُّنْيا، حتى تُعْلِمه أنَّه ليس له بدنياه عليك فضل".

وليعلم أن التواضع ليس دناءة النفس بل هو منزلة عظيمة كريمة فوق ذلك ودون الكبر، **وهكذا كل فضيلة محمودة هي توسط بين رذيلتين مذمومتين.**

وكل حال المتواضعين خير: يحبهم ربهم، ويرفعهم في الدنيا، ويدخلهم الجنة في الآخرة.

وعلى العكس من ذلك: حال المتكبرين، هو شر كله.

قال تعالى: **{سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق..}**، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"تحاجت النار، والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين، والمتجبرين"، "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".**

والكبر هو احتقار الآخرين وإنكار الحق.

جملنا الله بالتواضع وحبب إلينا أهله وجنبنا الكبر وأهله.

(١٢) أن يتعاون معه على عمل الخير أو دفع الشر الذي لا يقوم بغير معونته

من حق المسلم على أخيه أن يعينه على تحصيل الواجبات والمستحبات التي لا تقوم به وحده ويلزم لقيامها أن يعينه في تحصيلها غيره، وكذا من حقه عليه أن يعينه في دفع الشر والمفسدة التي لا يمكنه دفعها وحده ويلزم لدفعها أن يعينه في دفعها غيره.

وفي الكتاب العزيز: **{وتعاونوا على البر والتقوى..}** فأمر الله تبارك وتعالى بالتعاون على تحصيل أنواع الخير ودفع ألوان الشر.

وجعل ذلك من أسباب النجاة فقال عز من قائل: {والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}، وأشار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أنه من أسباب القوة: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا".

إن الأعمال تنقسم إلى قسمين رئيسين:

- أعمال فردية.
- وأعمال جماعية.

الأولى يستطيع الإنسان فعلها وحده، والثانية لا يمكنه فعلها إلا مع غيره.

وأمثلة ذلك كثيرة، يستطيع الإنسان أن يصلي النافلة ويصوم التطوع ويؤدي زكاة ماله وغير ذلك وحده، ولا يستطيع أن يصلي الجماعة، ويؤدي الجمعة، ويجاهد عدوه ونحو ذلك وحده.

والتعاون فيه تنفيذ أمر الله ورسوله به، وتيسير القيام بالأعمال، والتحفيز والتشجيع عليها، وتحصيل مصالح ومنافع ودفع مفاسد ومضار، وتحصيل أجور زائدة على العمل الفردي، وفيه بث لروح الوحدة والألفة بين أفراد المجتمع، وفيه توزيع للمسؤولية بين الأفراد، وفيه تحقيق أعمال لا يمكن تحقيقها من خلال الأفراد متفرقين.

ويدرك أهمية التعاون من يقرأ على لسان عيسى عليه السلام: {من أنصاري إلى الله}، وعلى لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا فأرسله معي ردءًا يصدقني..}، وقول الله له: {سنشد عضدك بأخيك}، وقول الله عن إبراهيم وإسماعيل: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل..}.

وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطوف بالقبائل يدعوهم إلى الإسلام ويقول: "من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة"، الأمر العظيم الذي فاز به الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والتعاون يكون بالعلم أو بالعمل، ويكون بالاستقلال بجزء من العمل أو بالتشارك والتكامل فيه، ويكون بالحث والتوجيه والإرشاد من جهة والتنفيذ من جهة أخرى، وهكذا في أنواع كثيرة متنوعة.

وصور التعاون بين السلف في الأمور كلها - صغيرها وكبيرها - كثيرة، ومن طريف ذلك ما روى البخاري عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **"كنت أنا وجارلي من الأنصارفي بني أمية بن زيد - وهم من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فينزل يومًا و أنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"**.

وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير، والذي يجهز به في سبيل الله، والذي يرمي به في سبيل الله"**، **"ومن أعان مجاهدًا في سبيل الله أو غارمًا في عسرته أو مكاتبًا في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله"**، وقارن ذلك بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"من أعان ظالمًا ليدحض بباطله حقًّا، فقد برئت منه ذمة الله ورسوله"**.

إن الإنسان مهما يبلغ من قوة لن يمكنه الاستغناء عن معونة غيره: **{قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا. قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا}**.

وفي فضائل التعاون نقرأ الحديث: "وإن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"، "ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن سترمسلما، ستره الله يوم القيامة"، وهي مكانة يهتز لها القلب طربًا وتسعى لها الجوارح رغبًا.

جعلنا الله ممن ينعمون بتلك الفضائل ويحصدون ثمارها.

(١٣) أن يصله ولا يهجره أكثر من ثلاثة أيام بغير حق

من حق المسلم على أخيه أن يصله ويقاربه ويؤالفه ويواده ويتحبب إليه ويبره، ومن حقه عليه أن لا يبغضه ولا يحسده ولا يهجره ولا يدابره.

وقد اعتنى الإسلام بهذه الحقوق عناية عظيمة فكثر في الأحاديث الشريفة النهي عنها: "لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال"، "يلتقيان فيعرض هذا ويعرض عنه، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"، "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا..".

وكثر فيها التنفير منها، مثل قوله ﷺ: "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم"، "لا يتهاجر رجلان قد دخلا في الإسلام إلا خرج أحدهما منه حتى يرجع، ورجوعه أن يأتيه فيسلم عليه".

وكثر فيها الترهيب منها، مثل قوله ﷺ: "من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار، إلا أن يتداركه الله بكرمه"، "ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا: رجل أم قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان".

وإن كان التشاحن والتدابر شيء لا بد من وقوعه - ومن ثم يقع الهجر - فقد جعل الإسلام لهذا الهجر أجلًا ينتهي عنده، فيحصل للنفوس غرضها من التشفي والشفاء بالقدر الذي يداوي الداء ولا يتجاوزه، **وهذا الأجل ثلاثة أيام**، ففي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"لا هجرة بعد ثلاث"**.

وجعله محرمًا فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"**.

وبين أثره فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"فإذا لقيه سلم عليه ثلاث مرار كل ذلك لا يرد عليه فقد باء بإثمه"، "فإن التقيا فسلم أحدهما على الآخر فرد عليه الآخر السلام اشتركا في الأجر، وإن أبى الآخر أن يرد السلام برئ هذا من الإثم وباء به الآخر، وقد خشيت إن ماتا وهما متهاجران أن لا يجتمعا في الجنة"**، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه"**، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثله عن ليلة النصف من شعبان.

إن الهجر مفسدة عظيمة ولا ريب أنه يسبقه ويلحقه من المفاسد ما هو مثله أو يقاربه في السوء ومن البشارة الطيبة أن من بدأ بإلغائه كان ابتداؤه هذا كفارة لما سلف منه، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لا يحل لمسلم أن يصارم مسلمًا فوق ثلاث ليال، فإنهما ما صارما فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وإن أولهما فيئًا يكون كفارة له سبقه بالفيء، وإن هما ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعًا"**.

وليُعلم أن الهجر يعطل طاقات الخير، ويلغي الحقوق، ويقضي على الوحدة، ويفوّت الأجور، وينشر المفاسد.

إن اللائق بالمسلم مع إخوانه الوصل والألفة والمحبة والحرص على جميل الصحبة، فلا يقطع عن إخوانه زيارتهم، أو سلامه وكلامه و ابتسامته إذا لقيهم.

وثم تفاصيل ذكرها العلماء في جواز الهجر لمن ترك شيئًا من الواجبات أو فعل شيئًا من المحرمات؛ ليحثه أخوه بذلك على الاستقامة ويتقي التأثر بانحرافه، وهو هجر كلي أو جزئي، يقع بالبدن أو باللسان أو بالقلب، بقدر دفع المفسدة فإن الأصل في الهجر المنع - وهو كبيرة - وما كان مباحًا منه فهو للحاجة يقدر بقدرها، ولتنظر هذه التفاصيل في مظانها.

كتبنا الله من أهل البر والصلة والأخوة ومنع عنا مفاسد الهجر والقطيعة والتدابر.

خاتمة

تمت - بحمد الله تعالى - هذه الكلمات المختصرة التي أردت بها بيان "حقوق المسلم على المسلم" ليكون كل مسلم ومسلمة على بصيرة بها ويجتهد وسعه لأدائها، وقد كان الباعث على كتابتها ألفاظ سيئة سمعتها من بعض المداخلة الجاهلين يهون فيها من شأن بعض هذه الحقوق العظيمة ويخالف بذلك الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، شل الله ألسنتهم وأبعد عن المسلمين شرهم وضرهم.

وأسأل الله - عز ثناؤه - أن ينفع بهذه الكلمات عباده، إنه خير مسؤول وأعظم مأمول.

أحمد الجوهري عبد الجواد